ثالثا: الإسلام في بلاد السودان

أولا :الإسلام في غانا

ثانيا: الإسلام في مالي.

ثالثا:كانم–برنو

رابعا: إمارات الهوسا

إن دراسة انتشار الإسلام في بلاد السودان تبدو سهلة ويسيرة، ولكنها في الواقع صعبة وشائكة، وذلك لعدة أسباب منها قلة المادة المصدرية وتعدد واختلاف المفاهيم. حيث قدمت أطروحات مختلفة حول الموضوع تباينت حسب توجهات أصحابها الفكرية.

أولا :الإسلام في غانا

أول من كتب عن بلاد السودان الجغرافيون العرب، وقد كانت معلوماتهم مختصرة، لاتفي بغرض الباحث في التاريخ، وترجع أول إشارة إلى غانا في المصادر العربية إلى القرن الثاني من الهجرة (8م)حيث أشار إليها الفلكي الفزاري وسماها بلاد الذهب،[1] أما الحملات العسكرية على مشارف الصحراء الكبرى فأول من تكلم عنها هو ابن عبد الحكم في القرن الثاني للهجرة، فقد تكلم عن حملات عقبة بن نافع في بلاد فزان وكوار سنة 46 هـ/666م، وبلوغه السوس بالمغرب الأقصى سنة 62هـ/682م. كما حاول عبيد الله حبيب بن أبي عبد الله التوغل في الصحراء. لكن يبدو أن كل المحاولات العربية لم تكن لها أي نتيجة وذلك لصعوبة الصحراء وقوة قبائل صنهاجة الصحراء. وخلال النصف الأول من القرن 5هـ/11م يرسم لنا أبو عبد الله البكري في مسالكه صورة عن قبائل الصحراء وعن غانا، حيث كانت صنهاجة الصحراء مملكة قوية تمتد إلى أودغشت وحوض السنغال وهذا قبل المرابطين يقول البكري إن بني جدالة هم آخر الإسلام خطة، ومن بلاد السودان التي أسلم ملوكها مدينة تكرور، ملكها اسمه وارجابي بن رابيس أسلم وأقام عندهم شرائع الإسلام، وحملهم عليها توفي وارجابي في سنة 432هـ[2]. وقد غزا عبد الله بن ياسين أودغشت في سنة 446هـ وعلى الرغم من أن فيها مسلمين فقد قتل بعضهم –حسب قول البكري–بحجة أنهم قبلوا بطاعة ملك غانا الكافر.[3]

---

[1] ذة. زوليخة بن رمضان، مرجع سابق،

[2]-أبو عبيد الله البكري، **المسالك والممالك**.

[3]المصدر نفسه،

وقد كان المسلمون يحضون باحترام الملوك الوثنيين، وتولوا المناصب العليا في مملكة غانا، يقول البكري عن أحد ملوكها: "واسم ملكهم اليوم-سنة460هـ- تنكامنين وليهم وهو ابن خمس وثمانين سنة وكان محمود السيرة مؤثرا للمسلمين... وتنكامنين هذا شديد الشوكة عظيم المملكة مهيب السلطان...لكن تراجمة الملك من المسلمين وكذا صاحب بيت ماله... وكذا أكثر وزرائه". ونظرا لكثرة عدد المسلمين فإنه كان هناك مدينتان مدينة للمسلمين ومدينة للملك، يقول البكري: "ومدينة غانا مدينتان سهليتان أحدهما المدينة التي يسكنها المسلمون، وهي مدينة كبيرة فيها اثنا عشر مسجدا أحدها يجمعون فيه، وحواليها آبار عذبة منها يشربون وعليها يعملون الخضروات. وفي مدينة الملك مسجد يصلي فيه من يفد عليهم من المسلمين".[4]

بينما الإدريسي في منتصف القرن السادس الهجري فيخبرنا أن ملوك غانا أصبحوا يعتنقون الإسلام، وينسبون أنفسهم إلى آل البيت، وأعلن ملك غانا تبعيته للخلافة العباسية، ويؤيد الزهري في كتاب الجغرافية قول الإدريسي حيث يقول: "وهم اليوم "منتصف القرن السادس" مسلمون وعندهم العلماء والفقهاء والقراء وسادوا في ذلك وأتى منهم إلى الأندلس رؤساء من أكابرهم، وحجوا إلى مكة وزاروا وانصرفوا إلى بلادهم وأنفقوا أمولا كثيرة".

ثانيا: الإسلام في مالي.

يعد ماألفه البكري (460 هـ/1067) أقدم نص تاريخي عن إسلام السلطة الحاكمة في مالي أو ملك مالي. وربما كان إسلام الملك في وقت سابق بكثير للبكري حتى أصبحت قصة إسلام الملك مشهورة تناقلتها الألسن خارج غرب إفريقيا. يظهر اسم ملل في كتاب البكري والإدريسي بعد أن ورد عند اليعقوبي كنعت لمملكة سودانية. ولانعلم هل يقصد البكري بملل إحدى محافظات إقليم مندينغو الذي يحوي مجموعة من العشائر (القبائل) أم يقصد مملكة مالي المتحدة والظاهر أنه قصد عشائر الماندينغ. لأنه في حدود 460 حين كتب البكري كتابه لم تتحد مالي بعد على يد سوندياناكيطا والذي كان في القرن 6هـ/13م. وقد يتعلق الأمر بأحد الملوك الذين

---

[4]- المصدر نفسه، ص. 871

كانوا منتشـرين في المنطقة.[5] ولم يشـر البكري على من اعتمد في نقل قصـة إسـلام ملك مالي المسمى بالمسلماني.

والرواية نفسها يذكرها الدرجيني (ت1271) في طبقات مشايخ المغرب وهو لم يعتمد على مصـدر مكتوب وإنما على رواية شـفوية حيث يقول "حدثني جماعة من أصـحابنا " وتتفق رواية كل من البكري والدرجيني في عناصرها الأساسية.

وإسلام ملك مالي كما جاء عند البكري: "عرف ملك مالي بالمسلماني لأن بلاده اجدبت عاما بعد عام فاسـتسـقوا بقرابينهم من البقر حتى كادوا يفنونها، وكان عندهم ضـيف من المسـلمين يقرأ القرآن ويعلم السـنة، فشـكا إليه الملك مادهمهم من ذلك فقال له أيها الملك لو آمنت بالله تعالى وأقررتبوحدانيته وبمحمد (صلى الله عليه وسلم) وأقررت برسلته واعتقدت شرائع الإسلام كلها لوجدت الفرج مما انت فيه وحل بك. وان تعم الرحمة اهل بلدك وان يحسدك على ذلك من عاداك وناوأك. فلم يزل به حتى أسلم وأخلص نيته. وأقرأه من كتاب الله ماتيسر. وعلمه الفرائض والسنن ما يمسح جهله. ثم أمهله إلى ليلة الجمعة. فأمره أن يتطهر فيها طهرا سابغا وألبسه المسلم ثوب قطن كان عنده. وبرزا إلى ربوة من الأرض. فقام المسـلم يصـلي والملك على يمينه يؤمن، فلما انجر الصبح إلا والله قد اعمهم بالسقي. فأمر الملك بكسر الدكاكير(الأصنام)، وأخرج السحرة من بلاده وصـح إسـلامه وإسـلام عقبه وخاصـته وأهل مملكته مشـركين فسـموا ملكهم منذ ذلك الوقت بالمسـلماني" ، ويضـيف الدرجينيأنه دعا أهل بيته فأسـلموا ثم دعا أهل المدينة فقالو نحن عبيدك فأجابوا ثم دعا من دنا من المدينة من رعيته فأجابت اكثرها ثم دعا الأقصـيين لك منا الطاعة وتتركنا على مالقينا عليه آباءنا..."فالدرجيني يقول أن الفقيه اسـمه علي بن يخلف ويرجح أن ان يكون إباضـي، وهو ماذهب إليه كثير من الباحثين حيث أن الإباضـية نشـطوا في التجارة الصـحراوية منذ القرن الثاني الهجري حيث اتجهوا جنوبا خاصة بعد الثورة الخوارجية الكبرى.

ومهما يكن من أمر إسـلام ملك مالي فقد يكون أحد شـيوخ القبائل لأن العرب تطلق على شـيخ القبيلة ملكا، ومالي في هذه المرحلة لم تصـبح مملكة بعد فقد كانت في مرحلة النشـأة وهي

-[5]ذة. زوليخة بن رمضان، مرجع سابق، 53

على شـكل قبيلة، فقد كانت غانا في الفترة قوية لم تتح لها فرصـة النمو والتوسـع. وهذا قبل القرن الرابع الهجري (العاشر الميلادي)، حيث كانت تحت زعامة ثلاث أسر تراوارا ثم كوناتي ثم كامارا.

أما قوة مالي فظهرت في عهد أسـرة كيتا (في نهاية القرن 11م وبداية القرن12) ويبدو أن أسـر المالينك لم تتوارث الحكم فقد كانت هناك عدة أسـر حاكمة في آن واحد، ومن بينها أسـرة كيتـا التي حكمـت ملـل[6] وهي التي ذكرهـا البكري والـدرجيني أثنـاء كلامهمـا عن إسـلام ملكها.ونعتقد أن الملك الذي أشـار إليه البكري هو أحد ملوك أسـرة كيتا الذي اعتلى عرش مالي وجعل منها مملكة قوية، وبسط ملوكها المسلمون نفوذهم على مناطق المنادي وتوسعوا شمالا على حساب غانا ودخلت أسرة كيتا في صراع مع الأسر الحاكمة، واستطاع سانديانا كيتا (ماري جاطا) الانتصـار في بداية القرن الثالث عشـر، وكان ذلك بداية توسـعها، يقول ابن خلدون: "ويُعد ساندياناتاكيتا أو ماري جاطة أو ماري دياتا ومعناه الأمير الأسد أو أسد مالي أعظم سلاطين مالي هو الذي أنشا مالي وتغلب على الصوصو وغانا... وكان ملكهم الأعظم تغلب على صوصو وانتزع الملك من أيديهم اسمه ماري جاطة ... ملك عليهم خمسا وعشرين سنة فيما ذكروه، ولما هلك ولي عليهم من بعده ابنه اسمه منسا ولي، ومعنى منسا بلسانهم السلطان، ومعنى ولي بلسانهم علي، وكان منسا ولي هذا من أعاظم ملوكهم، حج أيام الظاهر بيبرس".[7]

ومن أعظم ملوك مالي منسا موسى بن ابي بكر يقول عنه ابن خلدون:"كان رجلا صالحا وملكا عظيما له في العدل أخبار تؤثر عنه، وحج في سنة 724هـ... وجاء من بلده بثامنين حملا من التبر (كل حمل ثلاثة قناطير) وزعها في طريقه إلى الحج حتى انخفضـت قيمة العملة في مصر،[8]

---

(6)-أسس شعب الماندي(Manding)مملكة مالي، وهو شعب زنجي أصيل واسم هذه المملكة هو ملي تحريف لكلمة ماندينجو، ومعناها المتكلمين بلغة الماندي، والفلانيون يطلقون عليها اسم مالي، أما البربر فيطلقون اسم مل أو مليت، والمؤرخون العرب يطلقون اسم ملل أو مليل في حين الهوسا يسمونهم بالونجارة.

(7) ابن خلدون، تاريخ العبر وديوان المبتدأ والخبر.

-(8)المصدر نفسه.

لقي منسا موسى في الحج شاعر الأندلس أبو إسحاق الساحلي المعروف بالطويجن فأخذه معه، وقد لعب هذا الشاعر دورا في نقل الثقافة الإسلامية إلى جنوب الصحراء، حيث بني بيتا للملك بالكلس والأصباغ واتقن بناءه ولم يكن هذا النوع من البناء موجودا في المنطقة من قبل.[9] ومن العلماء الذين صحبوا السلطان منسا موسى من المشرق إلى بلاد السودان، عبد الرحمن التميمي حيث جاء إلى تنبكتو، يقول عنه السعدي:"فسكن تنبكتُ وأدركه حافلا بالفقهاء السودانيين، ولما رأى أنهم فاقوا عليه رحل إلى فاس وتفقه هناك ثم رجع إليه فتوطن فيه" والمراد هنا الفقه المالكي.[10]

يذكر الكعتي عن تنبكتو وجَعْت وكُنْجُور وغيرها من مدن مالي، فيقول عن تنبكتو : بلد الفقهاء لايدخلها سلطان مل، وليس لأحد الحكم فيها إلا قاضيها، ومن دخلها كان آمنا من ضيم السلطان وجوره، يقال له بلد الله، ومثلها أيضا كنجور بأرض كيك...قاضي تلك الأقاليم وعلمائها لايدخلها جندي إلا سلطان كياك في رمضان من كل عام حاملا الطعام ليأكل منه قراء القرآن وصبيان المكتب تعظيما له.[11]

ثالثا: كانم–برنو:

يقول ياقوت الحموي كانم بكسر النون، من بلاد البربر وفي أقصى المغرب، في بلاد السودان، ويذكر العمري أن كانم تقع بين إفريقية وبرقة وتمتد جنوبا إلى سمت الغرب الأوسط، مبدأ هذه المملكة من جهة مصر مدينة دالا أو زالا، وآخرها بلدة كاكا وبينهما ثلاثة شهور. وبذلك يكون موقع كانم إلى الشمال الشرقي من بحيرة تشاد بين بحر الغزال وبحيرة تشاد. وبعد مجئ الإسلام توسعت لتشمل جنوب غربي بحيرة تشاد وهو مايسمى برنو Bornu

هاجر إلى المنطقة فيما بين القرن الثامن والثالث عشر الميلاديين كثير من القبائل البربرية، منها التبو والتيدا والطوارق، ومن العرب الشوا وقبيلة جهينة التي جاءت من اليمن إلى مصر ثم

-(9) المصدر نفسه

-(10) عز الدين عمرو موسى، دراسات إسلامية في غرب إفريقيا،

-(11) المرجع نفسه،

اتجهوا جنوبا ومنهم الحساونة، ومن قبائل بني هلال التنجور،[12] ومن القبائل المهاجرة في هذه الفترة الزغاوة وهم شعب جمع بين المؤثرات الزنجية والحامية، ويبدو أنهم بقوا على وثنيتهم إلى بداية القرن الحادي عشر ميلادي كما ذكر البكري.

تشير بعض المصادر أن شعب الدوغو حكم المنطقة قبل الإسلام من القرن التاسع إلى الحادي عشر ميلادي، وفي بداية هذا القرن تحولت الأسرة الحاكمة إلى الإسلام. وهناك اختلاف بين المؤرخين حول بداية الإسلام في المنطقة.فهناك من يذكر أن الإسلام جاء مع أسرة أموية مهاجرة فارة من العباسيين،[13]ومنهم من يرى أن الأسرة الحاكمة التي دخلت الإسلام هي من التوارق المهاجرين، وقد كانوا يطلقون على أنفسهم اسم بني سيف ويدعون أن لهم نسبا حميريا نسبة إلى سيف بن ذي يزن، ومنهم من يرجح القول الأخير باعتبار أن الملثمين من أصول يمنية.[14] ومنهم من يرجع انتشار الإسلام إلى الملك" ألومى". وهذا لاينفي وجود وسائل مختلفة لانتشار الإسلام لاسيما التجار والهجرات، ومهما يكن من أمر فقد حكمت الأسرة السيفية كانم في نهاية القرن الحادي عشر، واستطاعوا أن يفتحوا الصحراء كلها في نهاية القرن الثاني عشر. وقد بلغت اوج اتساعها في أواخر القرن الثالث عشر في عهد ملكها "دونامة" الأول أو "دونامادیبلمي"، حيث وثق صلاته بحكام تونس، وقام بحملات لنشر الإسلام في وسط القبائل الوثنية.

سيطرت مملكة كانم على فزان والصحراء اتسعت تجارتها وتدفقت الثروات إلى خزائنها، وكانت لهم علاقات ثقافية بطرابلس وبمصر. حيث أسس حكامها مدرسة مالكية بالقاهرة عرفت بمدرسة ابن رشيق لتعليم الطلبة الوافدين إلى مصر. وكانت اللغة العربية هي لغة التعليم واللغة الرسمية=)

بعد موت دونماديبلمى ضعفت الدولة لعدة أسباب منها تنازع اولاده على الحكم، وانتشار الثورات والفقر، بالإضافة إلى الخطر الأكبر وهو غارات قبائل البولالا فيمابين 1387-

---

-[12] خالد مسعود، مرجع سابق،

-[13] محمد فاضل باري، المرجع السابق، ص.132

حسن أحمد محمود، **الإسلام والثقافة العربية في إفريقيا**،=

1400، مما اضطر عمر بن إدريس إلى نقل عاصمة البلاد إلى برنو غربي بحيرة تشاد، وبذلك أصبحت كانم جزءا من برنو.

من أشهر ملوك برنو إدريس علومة حكم مابين (1570-1602)، عرفت ألأسرة السيفية قمة المجد في عهده، كتب عنه المؤرخ أحمد فرتو وصفه بانه عادل وحكيم، وسع الفتوحات في عهده واستعمل الأسلحة النارية، وهزم الطوارق وأخضع البربر في جبال الأير. والقبائل الوثنية في الشرق. نظم البلاد سياسيا وإداريا وقضائيا ونظم الجهاد. وأهتم بالعمران وأسس المساجد وطبق الشريعة الإسلامية في نظمه وحروبه. استمرت قوة برنو إلى منتصف القرن الثامن عشر حيث ظهرت دويلات إسلامية جديدة، سيطرت على المنطقة وأهمها مملكة الهوسا[15].

رابعا:إمارات الهوسا

أسس شعب الهوسا سبع إمارات وهي: كانو وزاريا ودورا وغوبير وكتسينا وزانفره ورانو، وهي عبارة عن عدد من "الدولة المدينة" يرأس كل واحدة ملك يدعى "ساركي"، يحاط بكل دولة سور، ولم تعرف هذه الدويلات الاتحاد.

يتفق المؤرخون على ان شعب الهوسا ليست أصوله واحدة وإنما هو مزيج من الزنوج والحاميين والبربر،سكن هذا الشعب في شمال نيجيريا والجزء الجنوبي من النيجر (حاليا)، أي انه كان يقطن في المنطقة التي تحدها الصحراء الكبرى شمالا ونهر النيجر غربا وبرنو شرقا، والمناطق الساحلية لخليج غانا جنوبا.[16]كانت هذه الإمارات مكتفية ذاتيا من الصناعة والزراعة، ولها نشاط تجاري نظرا لموقعها على أحد اهم الطرق التجارية الصحراوية، وأغنى هذه الإمارات هي كتسينا وكانو.

دخل الإسلام بشكل تدريجي إلى الهوسا، عن طريق علماء الماندينغ في القرن الرابع عشر ميلادي، وكانت إمارة كانو أول الإمارات إسلاما وقد لعب محمد بن عبد الكريم المغيلي دورا في نشر الإسلام في المنطقة، وكذا علماء جنى وتنبكو المهاجرين من الإضطهاد، وعلى

-(15) المرجع نفسه، ص.138

-(16) يحي بوعزيز، مرجع سابق،

الرغم من ذلك بقيت الوثنية منتشـرة إلى القرن التاسـع عشـر في بعض المناطق مثل غوبير التي دخلها الشعب الفولاني المسلم المهاجر من الغرب.

دور الفلانيين في نشـر الإسـلام ببلاد الهوسـا: سـكنت قبائل الفلانيين أو الفلاتة أول مرة في جبال فوتاجالون والفوتاتور بالسـنغال وغينيا اليوم وصـلهم الإسـلام مبكرا وأسـسـوا مملكة التكرور. وفي حوالي القرن الرابع عشـر ميلادي بدأوا بالهجرة شـرقا بحثا عن الماء والكلأ واسـتقر بعضهم ببلاد الهوسا ومن بينهم القبيلة التي انحدر منها عثمان بن فودى.[17]

في النصـف الثاني من القرن السـابع عشـر إلى نهاية القرن الثامن عشـر،خضـعت إمارات الهوسـا – عدا غوبير– لسـيطرة برنو، وقد أثار نشـاط الفلانيين الدعوي حكام غوبير الوثنيين وتصـدوا لهم فأعلن عثمان بن فودى الجهاد في 1804 وجعل من سـوكوتو عاصـمة لدولته، واسـتطاع أن يضـم إليه إمارة غوبير الوثنية وسـائر إمارات الهوسـا وكون إمارة له في 1816 وأعلن الخلافة الإسـلامية في المنطقة، وقد تصـدى له الشـيح محمد الأمين الكانمي ببرنو، واحتفظ باستقلاله. بقيت إمارة سوكوتو إلى أن سقطت على يد الاستعمار البريطاني في سنة 1904. وبذلك أسـس عثمان بن فودى دولة إسـلامية دامت قرنا كاملا. حيث قام بتوطيد دعائمها السـياسـية والاقتصـادية والاجتماعية وكانت له آراء اجتهادية ضـمها في كتبه منها: "إرسـاء الأمة وتسيير الملة" و"توقيف المسلمين على مذهب المجتهدين" كما كانت له كتب أخرى في الجهاد والهجرة وغيرها من المجالات. ومن مسـاعديه أخوه عبد الله فودى وابنه محمد بيلو اللذين حكما البلاد بعد وفاة عثمان بن فودى وكانا عالمين جليلين تركا عدة مؤلفات.

(17)- محمد أحمد الحاج، "الشيخ عثمان بن فوده والحضارة العربية الإسلامية في الإقليم الشمالي لجمهورية نيجيريا الإتحادية، في:**ندوة العلماء الأفارقة ومسهاماتهم في الحضارة العربية الإسلامية،**

تعد حركة عثمان بن فودى من الحركات الإصـــلاحية الإســـلامية الحديثة، التي أحدثت تغييرا سياسيا واجتماعيا وثقافيا كبيرا في جنوب الصحراء فقد قضت على الوثنية واهتمت بالتعليم وأسست دولة إسلامية جديدة.[18]

[18]- اهتم الباحثون كثيرا بحركة عثمان بن فودى للمزيد يراجع: يحي بوعزيز ، مرجع سابق، ص-ص113-151؛ ندوة العلماء الأفارقة، مرجع سابق، ص-ص.335-365؛ محمد فاضل باري، مرجع سابق، ص.188.